العصور الحجرية(عصور ما قبل التاريخ)

قبل ان نتكلم عن العصور الحجرية أو عصور ما قبل التأريخ كما يسميها بعض الباحثين، نشير الى ان العصور الحجرية انتهت في مرحلة سبقت انتهاء عصور ما قبل التاريخ ، كما أن فترات عصور ما قبل التاريخ تباينت في استمراريتها من منطقة لأخرى ، ففي الوقت الذي انتهت فيه عصور ما قبل التأريخ في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد في العراق ومصر، ترى أنها استمرت في شمال افريقيا حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد٠

وفي اليونان حتى القرن الثامن قبل الميلاد ، وفي شمال أوربا حتى القرن الأول قبل الميلاد ، وفي باقي العالم الجديد حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، وتتميز هذه العصور بطولها فضلاً عن أن اغلب المكتشفات الحضارية (كاستخدام النار وصناعة الأسلحة والزراعة وتدجين الحيوانات والبناء والتعدين واختراع العجلة والفخار والنسيج)حدثت في هذه العصور هذه المكتشفات الحضارية دفعت الانسان للتكيف مع البيئة وظروفها المتغيرة فدفعته الى الابداع الحضاري، الامر الذي أسهم في تطوره البنيوي وفي نمو حجم دماغه ٠

وتجدر الاشارة الى ان أول انواع البشر ظهر في هذه العصور قبل نحو مليون ونصف المليون سنة ،بدأً من الإنسان القرد ، الا أنه يمكن تمييز نوعين من البشر عاش في تلك الحقب ، الأول هو انسان (النياندرتال) الذي كان موجود قبل نحو ١٠٠٠٠٠سنة ، وسمي بهذا الاسم نسبة الى وادي النياندرتال في المانيا الذي عثر فيه على بقايا هيكل هذا الانسان لأول مرة، وتشير هذه المكتشفات الى الانسان النياندرتال كان صياداً ماهراً ، وكان يلبس جلود الحيوانات ، ويصنع ادواته من الحجارة والعظام، وتوصل الى اكتشاف النار ، وهو اكتشاف مهم جداً ،إذ استخدام النار في شوي اللحوم وفي الإنارة والتدفئة وفي حماية نفسه من الحيوانات المفترسة٠

أما النوع الثاني من البشر الانسان الحديث (الكرومانيوم) الذي ظهر قبل ٤٠٠٠٠سنة ،وهو أرقى من الانسان النياندرتال ، إذ تميز عليه بطول قامته وكبر حجم مخه وقدرته على تحريك الأصابع لاسيما الإبهام ، وهذا ما جعله يبدع أكثر في سلم الرقي الإنساني ، فصنع أدوات أكثر دقة ، واستخدم المناجل المصنوعة من حجر الصوان ،كما استخدم الرحى في طحن الحبوب، وتعلم تدجين الحيوانات ثم أكتشف الزراعة التي غيرت مجرى التاريخ، فاستقر، وبنى القرى التي تطور بعضها فيما بعد الى مدن ثم دويلات فدول٠

وقد أطلق على هذه العصور بالعصور الحجرية لأن الإنسان استخدم الحجارة في صناعة ادواته والاته ، فضلاً عن استخدام العظام والقرون والأصداف والخشب في القليل منها ، وقسم الباحثون

العصور الحجرية الى اربعة عصور رئيسية ، ثم قسموا كل عصر رئيس الى عصور ثانوية وادوار متميزة ، معتمدين في هذا التقسيم على اساس طرق صناعة الآلات وأساليب العيش٠

العصر الحجري القديم

ويطلق عليه ايضاً (عصر جمع والتقاط القوت) ويبدأ هذا العصر قبل نحو ٢٠٠ مليون سنة وينتهي في نحو ١٥ الف سنة قبل الميلاد٠

وبذلك يكون أطول العصور زمناً ، وحدثت فيه العصور الجليدية الأربعة (عصر البلايستوسين) التي مرت بالقسم الشمالي من الكرة الارضية حتى دائرة عرض ٤٥٠شمالا في قارة أوربا وأمريكا الشمالية ، والتي استمرت للمدة من نحو ٥٩٠٠٠٠الى ١٥٠٠٠قبل الميلاد، وفي الوقت الذي كانت فيه المناطق الشمالية من الكرة الارضية تمر بطقس بارد جداً في اثناء هذه العصور ، كانت منطقة الشرق الأدنى الممتدة اسفل خطوط الجليد تمر بعصر غزير الأمطار الأمر الذي انعش الصحاري القاحلة لاسيما صحراء شبه جزيرة العرب والصحراء الافريقية الكبرى التي توافرت فيها المياه اللازمة للحياة فانتعشت الحياة وظهرت فيها بعض الحواضر ، الا ان الملاحظ ان هذه الصحاري تعود الى الجفاف والجدب عند عودة حقب الدفء كما نراه اليوم، وقد قسم العلماء هذا العصر لطوله الى اعلى واوسط وادنى ، وقد عاش في هذه العصور اشباه البشر والبشر في الكهوف والملاجئ الصخرية والغابات على شكل أسر داخل المستوطنة الواحدة ، واقتاتوا على الجمع والالتقاط والصيد، وجمع الجذور والبذور والثمار والفواكه ،كما اصطادوا الحيوانات كالفيل القديم(الماموث) والحصان القديم ووحيد القرن والدب والثور البري والماعز البري والخنزير البري والوعول والغزلان والأرانب والطيور، واقدم الادوات التي صنعها الانسان وجدت في افريقيا(تنزانيا والحبشة واوغندا وكينيا) صنعها اشباه البشر من الحصى ، وصنع الانسان القرد المنتصب مثيلاتها في إندونيسيا والصين ،كما صنع انسان هذه العصور فيما بعد آلات القتال لاسيما الفؤوس من الشظايا المقطوعة من الحجر او من العظام او القرون ، وفي مرحلة لاحقة عرف انسان الصين استخدام النار وهم اول من دفن الموتى مع الادوات الحجرية وبعض الازهار البرية ، كما عرف انسان النياندرتال الذي عاش في العصر الحجري القديم الاعلى استخدام النار، وشهد العصر الحجري الاعلى اختفاء انسان النياندرتال وحلول الانسان العاقل محله ، واستمر الانسان العاقل في هذا العصر بصناعة ادواته من الحجر والعظام والقرون ولكن بطرق جديدة ، اذ أصبحت الشظايا اطول وارفع واكثر حدة ،كما برزت اولى المظاهر الفنية متمثل برسوم الكهوف في غرب أوربا ، ثم في فترات لاحقة صنع الانسان تماثيل فخارية للحيوانات ودمى أنثوية من العظام والعاج هذه الصناعات والفنون كانت بدائية في

هذه العصور عموماً، الا انها تطورت ونضجت في اواخر هذه العصور ، اذ اضمحلت صناعة الآلات الحجرية واكثر الانسان من تصنيع العظام ونحتها كما استخدم الألوان في رسوماته في الكهوف٠

ويرجح ان يكون الانسان استوطن العر اق في العصر الجليدي الاخير فيما بين ١٠٠٠٠٠الى ٦٠٠٠٠سنة قبل الميلاد، اذ لم يعثر على اثار تعود الى المراحل المبكرة من هذا العصر ، أما ما عثر عليه فهو عبارة عن آلات حصوية وحجرية والشظايا عثر عليها في موقع (بلدة بلكا) على بعد نحو ٢كم شمال شرق مدينة جمجمال ، وفي (اسكي كلك) على الضفة اليمنى من الزاب الكبير الى الشمال من (بلدة بلكا)، ومعظم ما عثر عليه يعود الى العصر الحجري القديم الاوسط ، كما عثر على آلات حجرية شظوية كبيرة وصغيرة في منطقة القصير على بعد ٢كم جنوب غرب قلعة القصير في بادية السماوة تعود للعصر الحجري القديم الادنى والاوسط٠

ومن العصر الحجري القديم الاوسط عثر على آلات حجرية صنعها الانسان النياندرتال في كهف (هزار مرد) على بعد ١٨كم جنوب غرب مدينة السليمانية ، واهم المكتشفات التي تعود لهذا العصر ما عثر عليه في كهف (شانيدر) على الزاب الاعلى من محافظة أربيل ، ويعد هذا الكهف أكبر الكهوف المكتشفة أذ يبلغ طوله ٤٠م وارتفاعه ٨م ، وعثر على بقايا عظام حيوانات وحشية كالثيران، وعثر على ادوات حجرية في كهف (بابخال) وكهف (سراندو) بين اربيل وشقلاوة ، ومنخفض أبو دبس والرزازة وبحر النجف ٠

ومن العصر الحجري القديم الاعلى عثر على انسان الكرومانيوم في كهف (زرزي) شمال غرب مدينة السليمانية على آلات مصنوعة من حجر الصوان والزجاج البركاني وبعض عظام الحيوانات ، وفي الطبقة الثالثة (c) في كهف شانيدر عثر على آلات كثيرة من نوع النصال ، وعثر على اثار تعود لهذا العصر في مواقع اخرى٠

العصر الحجري المتوسط

يبدأ هذا العصر في نحو ١٥ألف سنة قبل الميلاد بعد ذوبان الجليد ورجوعه الى المناطق التي يشغلها حالياً ، وانتهى في نحو ٧٥٠٠ قبل الميلاد ، ويعد عصراً انتقالياً من مرحلة الصيد والالتقاط (جمع القوت) الى الرعي والزراعة (انتاج القوت) تميز هذا العصر باعتدال المناخ وبدأ عصر الدفء والجفاف النسبي ، فاختفت الحيوانات الكبيرة وحلت محلها الحيوانات المعروفة حالياً ، وتحول الانسان من مرحلة السكن في الكهوف والملاجئ والغابات الى السكن قرب الانهار والينابيع والعيون، وهذا يعني تحوله الى الاستقرار في السكن والتحول في الانتاج ،

فانتقل الانسان من مرحلة الاقتصاد المستهلك عن طريق الجمع والالتقاط الى مرحلة الاقتصاد المنتج متمثلاً بالزراعة والرعي ، فكانت المحاولات الاولى لزراعة النباتات البرية وتدجين الحيوانات ، أما أدوات هذا لعصر فكانت اكثر دقة واصغر حجماً ، كما تميز هذا العصر بظهور بعض الآلات الزراعية كالمناجل والهاونات ورحى الطحن مما يعني قيام تجارب زراعية ولو كانت محدودة والى قيام انسان هذا العصر بحصد وطحن حبوب النباتات البرية ، وينتهي هذا العصر في ازمنة تختلف باختلاف الاقاليم٠

وعثر على اثار هذا العصر في اماكن مختلفة في العراق ، فعثر على ادوات مختلفة في كهف (بالي كورا)وفي الطبقة الثانية (B) في كهف شانيدر، فعثر على ادوات حجرية دقيقة الصنع وعلى الآلات الزراعية كالمناجل المصنوعة من نصال الصوان المثبتة في القار وعلى هاونات في مستوطن (كريم شهر) على بعد ٩كم شرق مدينة جمجمال وفي موقع (ملفعات) على ضفة نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين الموصل وأربيل عثر على ادوات مماثلة فضلاً عن بقايا بيوت محفورة في الارض ذان جدران مشيدة بالحجارة وارضية مصفوفة بالحصى والحجارة ، عثر على ادوات مماثلة في مواقع اخرى كموقع(كردجاي) و(زاوي جمى) على ضفة الزاب الكبير الى الغرب من كهف شانيدر بنحو ٤كم ، ويشير الباحثون في الاثار الى ان هذه المباني هي اقدم البيوت التي شيدها انسان العصر الحجري الوسيط ، وعثر في هذه البيوت على ادوات حجرية ومناجل من العظام ومقابض مناجل وقطع من السلال والحصر ، وتبين من فحص العنصر المشع للكربون١٤ للمواد العضوية في هذه المنازل انها تعود لنحو ٩٢١٧قبل الميلاد و٣٠٠سنة في الطبقة السفلى والى ٨٩٣٥قبل الميلاد و٣٠٠سنة للطبقة العليا٠

العصر الحجري الحديث

ويسمى (عصر انتاج القوت) بدأ هذا العصر في حوالي ٧٥٠٠قبل الميلاد وانتهى في نحو ٥٠٠٠قبل لميلاد ، وهو عصر مميز اذ تعلم الانسان في هذا العصر الزراعة وتربية الحيوانات لأغراض اقتصادية ، الامر الذي قلل من اهمية الصيد، ويبدو ان الزراعة وتدجين الحيوانات بدأ في مرحلة الجفاف النسبي الذي تلا العصور الجليدية والمطيرة ، ان عملية الاستقرار الذي فرضته هذه المرحلة الجديدة لاسيما الزراعة الى ظهور الملكية الفردية اي ملكية الحقول والحيوانات ووسائل الانتاج ، فضلاً عن توصل الانسان الى انجاز حضاري مهم في هذه المرحلة تمثل بصناعة الفخار ، حيث صنع اوانيه من الفخار مع الاستمرار بصناعة الادوات الحجرية لكنها بدأن تضمحل تدريجياً ، وفي مجال الزراعة بدأ بزراعة الحنطة والشعير والشوفان وقام بطحنها وصناعة الخبز منها ، ربما هذا الامر دفعه الى صناعة تماثيل انثوية من الطين للدلالة

على عبادة آلهة لها علاقة بالخصب، مع آلهة انثوية بدينة اخرى تمثل الالهة الأم ، وقد اهتدى في هذا العصر الى استخدام التقويم الشمسي بقياس السنة الشمسية بالدورات الزراعية من بذر الى بذر اخر يليه أو من حصاد الى حصاد اخر يليه مع انه ظل يستعمل الاشهر القمرية وتعلم حياكة الملابس وبناء البيوت من المواد المتوفرة محلياً كالقصب والبردي والخشب والطين الممزوج بالتبن ، وكان لبناء المساكن اثر في تطور العلاقات الاجتماعية وقاموا بدفن موتاهم٠

وفي شمال العراق وفرت سفوح جبال زاكروس الغربية والأراضي المتموجة ظروف التدجين المناسبة لا سيما المناخ الملائم والأمطار المتوفرة والحيوانات والنباتات الصالحة للتدجين فانتشرت على ضفاف الأنهار ومصباتها وعند العيون والينابيع مستوطنات زراعية كثيرة وتعد قرية (جرمو) على بعد ١١كم شمال جمجمال أقدم مستوطنة زراعية معروفة لحد الآن إذ حدد اختبار العنصر المشع للكربون ١٤ أن تاريخ هذه القرية يعود الى ٧٠٠٠ سنه قبل الميلاد وعثر فيها على ١١ طبقة وجد في الطبقة الخامسة العليا أواني فخارية وفي الطبقات السفلى وجدت حبوب القمح والشعير المتفحمة وعظام الماعز والأغنام المدجنة وعثر على بقايا بيوت بنيت من الطين مسقفة بالقصب والخشب وتحت أرضيات هذه البيوت وجدت قبور دفن فيها موتاهم فضلاً عن ذلك عثر على ادوات منزلية كالأواني الفخارية والحلي المصنوعة من الصدف والمحار والمغازل والإبر العظمية والملاعق والمناجل والرحى والهاونات وعلى آثار مماثلة في مستوطنات زراعية تعود لنفس الفترة في سهل رانية وفي موقع (تمر خان) شمال مدينة مندلي ٠